الباب الثاني :

الفساد .. وتلوث البيئة

"وكما هو واضح من الآيات الكريمة السابقة، فإن الفساد يقع دائمًا بواسطة الإنسان في كل مكان وزمان، يمكنه أن يتواجد فيه نتيجة ممارساته ونشاطاته وتعدياته غير المحسوبة وغير المسئولة. فالفساد كلمة عامة ذات مفهوم ومدلول واسع، فهي تشمل كل ما يضر بالأرض وعناصرها ومكوناتها، بما يجعلها غير صالحة للقيام بالدور المنوط بها الذي خلقت من أجله، أو يجعلها مصدر ضرر لجميع الكائنات الحية من نباتات وحيوانات، وعلى رأسها وفي مقدمتها بالطبع الإنسان. وكما ذكرنا من قبل، فإن هناك علاقة وثيقة بين الإسراف والتلوث. فالإسراف يفضي إلى مشاكل بيئية متعددة لا يقتصر تأثيرها على الإنسان وحده، بل يمتد ليشمل باقي الأحياء التي تشاركه الحياة على الأرض. وفي الحقيقة، فإن خير وسيلة لتجنب الآثار البيئية الناجمة عن الإسراف واستنزاف الموارد الطبيعية، كالماء والهواء، دون فائدة أو إدراك لخطورة ذلك، إنما تكون بإتباع النهج السليم الذي سنته الشريعة الإسلامية ألا وهو الاعتدال".

المؤلف

الإسلام .. يتنبأ بحدوث التلوث:

لقد كان للإسلام السبق في التنبؤ بفساد البيئة وتلوثها منذ أكثر من (14) قرنًا من الزمان، حيث لم يكن الإنسان قد عرف معنى "البيئة" التي يعرفها اليوم، ولم يكن يعرف التلوث البيئي الذي نعاني منه اليوم، بسبب الإنسان ونشاطاته وتقنياته المختلفة؛ التي تبث في كل لحظة الملوثات التي تلوث الهواء والماء والتربة، وكل شيء في هذا الكون الفسيح.

وقد جاء إخبار الإسلام لنا عن تلوث البيئة وفسادها من خلال آيات القرآن الكريمة، ومن خلال السنة المطهرة متمثلة في أقوال وأفعال وإقرارات الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم، وكذلك من خلال ما اتفق عليه العلماء والفقهاء منذ فجر الإسلام وعلى مر العصور والأزمان.

القرآن الكريم .. يؤكد حدوث الفساد والتلوث:

جاءت عديد من آيات القرآن الكريم في مواقف مختلفة، لتخبرنا عما فعله الإنسان بيده وأتلف وأفسد به تلك البيئة الطيبة الصالحة التي مهدها وسخرها الله سبحانه وتعالى لحياة الإنسان. فقال تعالى: ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾[1].

فهذه الآية الكريمة تخبرنا بتحقق وقوع الفساد والتلوث في البر (اليابسة)، وفي المياه (متمثلة في البحار والأنهار)، وقد أوضحت الآية الكريمة السبب الحقيقي لهذا الفساد والتلوث، وهو ما صنعته أيدي الإنسان من تقنيات وأجهزة تبث المخلفات والعوادم التي أضرت بالمياه والتربة، وما تنتجها من غذاء (نباتات وأسماك) أصبحت ملوثة هي الأخرى.

وتأتي آيات كريمة أخرى من القرآن الكريم لتؤكد هذه الحقيقة، وهي أن الفساد

---

(1) سورة الروم: الآية 41.

والتلوث الذي أصاب الأرض؛ إنما جاء بفعل الإنسان نفسه، ذلك التلوث الذي أهلك الحرث والنسل. قال تعالى: ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْفَسَادَ ﴾[1].

فعلى الرغم من أن هاتين الآيتين الكريمتين قد نزلتا في شخص يدعى "الأخنس بن شريق" الذي أقبل على النبي صلي الله عليه وسلم وأظهر الإسلام، ثم خرج من عنده فمر بزرع وحُمُر، فأحرق الزرع وعقر الحُمُر، فذكر الله أمره، ووصفه بأنه من ألد المخاصمين للنبي صلي الله عليه وسلم وللإسلام، لما قام به من فساد وإهلاك للحرث والنسل. إلا أن هاتين الآيتين يمكن تعميمهما على كل من يتصف بهذه الصفات، وهي الإفساد في الأرض وإهلاك الحرث والنسل.

وفي أيامنا هذه، تتحقق هذه الآية الكريمة، وتتكرر شخصية "الأخنس"، وتتمثل – يوميًا – في كل شخص أو مؤسسة تبث التلوث الذي يفسد الزرع ويهلكه، ويفسد التربة ويتلفها، ويفسد الهواء ويجعله مصدرًا لإصابة الإنسان مباشرة بالعديد من الأمراض الخطيرة والقاتلة، مما يؤدي إلى هلاك الإنسان وموته، وهلاك النبات والحيوان، وكل ما هو حي على سطح هذه الأرض.

ومن الآيات الكريمة التي توضح إلى أي مدى يكون تأثير التلوث والإفساد في الأرض، إذ يؤدي إلى قتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق. هذه الآية الكريمة يشير إليها قوله تعالي : ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[2].

فهذه الآية الكريمة تخبرنا أن من قتل نفسًا بسبب الفساد (ومنه التلوث)، فكأنما قتل الناس جميعًا. وقد أثبتت الأبحاث والدراسات الطبية الحديثة أن التلوث بكافة

---

(1) سورة البقرة: الآيتان 204-205.

(2) سورة المائدة: الآية 32.

صوره وأشكاله يتسبب بطريقة مباشرة وغير مباشرة في موت الإنسان. فالتلوث يصيب الإنسان بعديد من الأمراض المزمنة والخطيرة، وبأنواع من السرطانات القاتلة التي تودي بحياة الإنسان.

وقد أوردنا في الفصول السابقة أمثلة لعديد من الحوادث التي سببها التلوث وأدت إلى موت أعداد كبيرة من الناس دون جرم أو جناية، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾. فالناس تموت بسبب التلوث دون أن ترتكب ما يوجب إزهاق النفس، وهو قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق.

الفساد .. وتلوث البيئة:

ولذلك، كان لابد للإنسان من أن يحافظ على البيئة ومكوناتها بما يكفل استمرارها في أداء دورها، الذي يساعد الإنسان على القيام بدوره في إعمار هذه الأرض، وأداء رسالته التي خلق من أجلها.

وإذا تفحصنا آيات القرآن، نجد عديدًا من الآيات الكريمة التي تحذر الإنسان من الفساد أو إفساد الأرض. ومن هذه الآيات، قوله تعالى: ﴿ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿ وَلاَ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[2].

وكذلك، قوله تعالى: ﴿ فَاذْكُرُوا آلاَءَ اللهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾[3].

فتلك الآيات الكريمة. جميعها تدعونا إلى عدم الإفساد ونشر الفساد في الأرض، الأرض التي أصلحها الله سبحانه وتعالى، وجعلها صالحة لحياة الإنسان والكائنات

---

(1) سورة الأعراف: الآية 85.

(2) سورة الأعراف: الآية 56.

(3) سورة الأعراف: الآية 74.

الأخرى. فيجب على الإنسان أن ينظر في الكون من حوله، ويتأمل آيات الله ونعمه العظيمة التي وفرها وسخرها لخدمته وراحته، وتسهيل حياته على سطح الأرض. فإذا تأمل هذه النعم وأدركها وشعر بفضلها وأثرها، فيجب عليها أن يحافظ عليها من الفساد والإتلاف، وأن يعمل على صيانتها وحمايتها من كل ما يفسدها ويغير من طبيعتها.

ثم تجيء الآية الكريمة: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ كُلُوا وَاشْرَبُوا مِن رِّزْقِ اللهِ وَلاَ تَعْثَوْا فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[1].

فهذه الآية الكريمة تدعو الإنسان إلى الأكل والشرب من رزق الله مما تخرج الأرض من ثمار وخيرات، وما تفيض به السماء من مياه، كما تدعوه إلى إجلال هذه النعم وتعظيمها، فلولاها ما صلحت حياته على الأرض. وذلك، كانت الدعوة في ختام هذه الآية الكريمة دعوة جليلة ومهمة، لكل فرد من بني البشر، وهي عدم السعي في إفساد الأرض وإتلافها.

وكما هو واضح من الآيات الكريمة السابقة، فإن الفساد يقع دائمًا بواسطة الإنسان في كل مكان وزمان، يمكن أن يتواجد فيه الإنسان نتيجة ممارساته ونشاطاته وتعدياته غير المحسوبة وغير المسئولة. فالفساد كلمة عامة ذات مفهوم ومدلول واسع، فهي تشمل كل ما يضر بالأرض وعناصرها ومكوناتها، بما يجعلها غير صالحة للقيام بالدور المنوط بها الذي خلقت من أجله، أو يجعلها مصدر ضرر لجميع الكائنات الحية من نباتات وحيوانات، وعلى رأسها وفي مقدمتها بالطبع الإنسان.

ولذلك، جاءت الآيات الكريمة في سور مختلفة لتنهَى الإنسان عن الإفساد في الأرض وتحذره من عواقب ذلك. ومن هذه الآيات:

---

(1) سورة البقرة: الآية 60.

قوله تعالى: ﴿ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾[2].

﴿وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَادًا وَاللهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾[4].

ثم تأتي الآية الكريمة لتنهانا نحن بني البشر عن أن نُلقَى - وبفعل أيدينا - فيما يهلكنا. قال تعالى: ﴿وَلاَ تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾[5].

وبعد أن يأمرنا الله سبحانه وتعالى بالاعتدال وعدم الإسراف، وينهانا عن الإفساد في الأرض، تأتي الآية الكريمة لتخبرنا بعاقبة المفسدين، في قوله تعالى: ﴿فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴾[6].

ثم يأتي أمر الله - سبحانه وتعالى - لبني البشر جميعًا بأن يتعاونوا على البر والتقوى وألا يتعاونوا على الإثم والفساد، وكل ما يضر بالإنسان. فقال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ﴾[7].

ومما لاشك فيه، أن في هذه الآية دعوة لمواجهة مشكلة عالمية، ألا وهي مشكلة التلوث البيئي، فهي تحث على ضرورة تعاون المجتمع الدولي كله للتصدي والتعاون لمجابهة وحل هذه المشكلة، ومحاولة وضع حد لها.

ثم يخبرنا الله - عز وجل - أنه العادل، فلا يقع منه - سبحانه وتعالى - الظلم أبدًا، ولكن الإنسان دائمًا هو الظالم لنفسه ولغيره. فالإنسان يظلم نفسه بما يقترفه بيده ويضر

---

(1) سورة المائدة: الآية 32.

(2) سورة الأعراف: الآية 86.

(3) سورة الأعراف: الآية 31.

(4) سورة المائدة: الآية 64.

(5) سورة البقرة: الآية 195.

(6) سورة الأعراف: الآية 103.

(7) سورة المائدة: الآية 2.

به نفسه وغيره، ونستطيع أن نؤكد أن الفساد والتلوث الذي صنعه الإنسان بنفسه، ونشره في أرجاء المعمورة، قد أثر عليه وعلى صحته وأجهزة جسمه المختلفة، كما أثر على جميع الكائنات الحية التي تشاركه الحياة على سطح الأرض. وها نحن نرى الإنسان وقد أصابته الأمراض والعلل، وأصبح يعاني أمراضًا لم تكن معروفة من قبل، وأصبح يشكو من أعراضٍ لم ينجح أحد من المتخصصين - حتى - في تشخيصها، وأصبح الإنسان يعاني على الرغم من التقدم العلمي الهائل الذي حققه، وبالرغم من الابتكارات والتقنيات الحديثة التي توصل إليها، والتي يفترض أنها سهلت ويسرت له سبل الحياة.

وهكذا، نجد أن الإنسان هو الظالم، على هذه الأرض فهم يظلم نفسه وإخوانه وجميع الكائنات الحية. وفي هذا المعنى، نذكر الآية الكريمة، في قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾[1].

الاعتدال .. أساس الإسلام:

وكما ذكرنا من قبل، فإن هناك علاقة وثيقة بين الإسراف والتلوث. فالإسراف يفضي إلى مشاكل بيئية متعددة لا يقتصر تأثيرها على الإنسان وحده، بل يمتد ليشمل باقي الأحياء التي تشاركه الحياة على الأرض.

وفي الحقيقة، فإن خير وسيلة لتجنب الآثار البيئية الناجمة عن الإسراف واستنزاف الموارد الطبيعية، كالماء والهواء، دون فائدة أو إدراك لخطورة ذلك، إنما تكون باتباع النهج السليم الذي سنته الشريعة الإسلامية ألا وهو الاعتدال. وهو الأمر الذي أشارت إليه الآية الكريمة، وفي قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[2].

فالأمة الإسلامية .. الأمة المحمدية .. هي الأمة الوسطية، وسطية في كل شيء من غير إفراط ولا تفريط، وسطية في التكاليف، قال تعالى: ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾[3].

---

(1) سورة الزخرف: الآية 76.

(2) سورة البقرة: الآية 143.

(3) سورة البقرة: الآية 286.

وسطية في العبادات وفي كل شيء.، قال تعالى: ﴿وكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلاَ تُسْرِفُوا إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾[1].

السنة المطهرة .. وقضايا البيئة:

جاءت السنة النبوية المطهرة، متمثلة في الأحاديث الصحيحة عن النبي صلي الله عليه وسلم ، وفي ما أقدم عليه من أفعال وأعمال، وما أقره من أعمال قام بها بعض الصحابة، جاءت لتوضح ما أجمله القرآن الكريم، وتفسير ما تضمنته آياته من أحكام وشرائع تنظم حياة الناس وتقنن معاملاتهم.

جاءت السنة المطهرة متناسقة، ومتوافقة مع القرآن الكريم فيما فيه صالح الإنسان وسعادته، وفيما يحافظ عليه ويحميه من الأخطار التي يمكن أن تصيبه بسبب أفعال وممارسات خاطئة في حق البيئة وعناصرها.

ولذلك، جاءت عديد من الأحاديث النبوية الشريفة تنهَى بصورة مباشرة عن إحداث الأذى أو الضرر، كما جاءت أحاديث أخرى مرتبطة بأحداث ومواقف معينة، أو لتنهَى عن أفعال بعينها.

ومن هذه الأحاديث، قوله: صلي الله عليه وسلم: "لا ضرر ولا ضرار"[2] . فهذا الحديث جامع شامل عام، فهو ينهَى عن كل عمل أو فعل أو نشاط يسبب الضرر والأذى بوجه عام. فينطبق هذا الحديث على كل ما يقع اليوم ويؤدي إلى تلوث البيئة وتلويث عناصرها. فالضرر قد تحقق في شأن المياه، والضرر أصاب التربة والغذاء والهواء. وها هي الأمراض والعلل والأوبئة التي أصابت الإنسان والحيوان والنبات خير دليل على حدوث الضرر وتحققه.

وهذا الحديث الشريف يدل على مدى حرص الإسلام متمثلاً في قول الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم ، من الحرص على ألا يضر الإنسان المسلم نفسه، كما لا

---

(1) سورة الأعراف: الآية 31.

(2) رواه ابن ماجه ومالك في الموطأ.

يتسبب في حدوث الضرر والأذى للآخرين.

ومن الأحاديث الشريفة التي تتناول قضايا محددة، ما يلي: قوله صلي الله عليه وسلم: « **اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الماء، وفي الظل، وفي طريق الناس** »[1].

فهذا الحديث ينهَى عن التبرز في المياه. فمن المعروف أن تصريف مياه المجاري في الأنهار والترع يؤدي إلى تلويث مياه هذه الموارد، بالطفيليات والفيروسات والبكتيريا والروائح الكريهة.

- قوله صلي الله عليه وسلم: « **لا تتركوا النار في بيوتكم حين تنامون** »[2].

فالنار عدو للإنسان وممتلكاته، وخسائرها فادحة؛ فهي تأتي على الحرث والنسل، وتحرق وتدمر كل ما تصل إليه، كما أنها تؤدي إلى هلاك الماشية وهلاك الإنسان، ولذلك أمر الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم بإطفاء النيران قبل النوم.

- قوله صلي الله عليه وسلم: « **إن الله طيب يحب الطيب، جوَّاد يحب الجود، كريم يحب الكرم، نظيف يحب النظافة، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود** »[3].

فهذا الحديث الشريف يحمل دعوة إلى نظافة البيوت حفاظًا على الصحة العامة، لأن تراكم الأوساخ في البيوت يعطي الحشرات والجراثيم بيئة مناسبة للتكاثر والنمو، فضلاً عن انبعاث الروائح الكريهة، وتجعل البيوت مكانًا لا يُطاق للإقامة فيه.

والإسلام يحث - بوجه عام - على نظافة الأرض وحمايتها من التلوث؛ بل إنه جعل نظافة المكان (الأرض) شرطًا أساسيًا للأرض التي تؤدي عليها الصلاة.

والأحاديث التي تحث على النظافة كثيرة منها:

- له صلي الله عليه وسلم: « **النظافة تدعو إلى الإيمان، والإيمان مع صاحبه في الجنة** »[4].

---

(1) رواه أبو داود.

(2) رواه البخاري في صحيحه.

(3) رواه الترمذي.

(4) رواه الطبراني.

- وله صلي الله عليه وسلم: « **تنظفوا فإن الإسلام نظيف** »[1].

كما أنه - صلي الله عليه وسلم - قد دعا في مواقف كثيرة إلى عدم الإسراف، لما يلحقه ويسببه الإسراف من أضرار جسيمة، فقال صلي الله عليه وسلم: « **كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في غير إسراف ولا مخيلة** »[2].

وما أعظم قوله صلي الله عليه وسلم: « **إماطة الأذى عن الطريق صدقة** ».

فالأذى كلمة جامعة شاملة لكل شيء يؤدي الإنسان وغيره ويسبب الضرر. فقد يكون الأذى المقصود في الحديث الشريف حجارة في وسط الطريق تعوق الحركة وتعترض المارة، وقد يكون منهم المريض أو المسن أو المعاق. وقد يكون الأذى مخلفات الحيوانات وما يمكن أن تحدثه لمن يخوض فيها حين يسود الظلام. وقد يكون الأذى من المخلفات والقمامة الناتجة عن نشاطات الإنسان وتجارته وغيرها.

انظر - عزيزي القارئ - كيف جعل الرسول الكريم صلي الله عليه وسلم من هذا العمل، وهو إزالة الأذى عن الطريق، عمل صالح يؤجر عليه الإنسان ويُثاب. فقد ربط صلوات الله وسلامه عليه بين كل عمل يعود بالنفع على الإنسان وبيئته وكونه عملاً دينيًا يدعو الإسلام إليه ويحث عليه.

وقد يكون المقصود بـ "الطريق" كل ما يعترض سبيل الإنسان أثناء رحلته على الأرض.

وهكذا، يؤكد الإسلام أن الممارسات البيئية الصحيحة والسلوك الإنساني السليم، والذي يتمثل في إماطة الأذى والقذر عن الطريق ونحوه يعتبر عملاً إيمانيًا يقصد به التقرب إلى الله - عز وجل - خشية عقابه وطمعًا في ثوابه، فهي من الأعمال التي فاعلها الثواب باعتبارها شعبة من شعب الإيمان بالله. والأحاديث النبوية الشريفة التي تؤكد هذا المعنى كثيرة، منها:

---

(1) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه.

(2) رواه النسائي وابن ماجه.

عن أبي ذر قال: قال النبي صلي الله عليه وسلم: « **عرضت على أعمال أمتي حسنُها وسيِّئُها، فوجدت في محاسن أعمالها الأذى يُماط عن الطريق، ووجدت في مساوئ أعمالها النُخامة تكون في المسجد لا تدفق** »[1].

وعن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله صلي الله عليه وسلم: « **إنه خلق كل إنسان من بني آدم على ستين وثلاثمائة مفصل، فمن كبر الله، وحمد الله، وهلّل لله، وسبح لله، واستغفر الله، وعزل حجرًا عن طريق الناس أو شوكة أو عظمًا عن طريق الناس، أو أمر بمعروف أو نهى عن منكر، عدد الستين والثلاثمائة، فإنه يُمسي يومئذ وقد زحزح نفسه عن النار** »[2].

وعن أبي هريرة – رضي الله عنه – عن النبي صلي الله عليه وسلم قال: « **الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبه، فأفضلها قول لا إله إلا الله، وأدناه إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من شعب الإيمان** »[3].

وفي رواية للبخاري ومسلم: « **بينما رجل يمشي بطريق، وجد غصن شوك على الطريق، فأخره فشكر الله له، فغفر له** ».

موقف الفقهاء .. من التلوث والإسراف:

أجمع فقهاء المسلمين، على مر العصور والأزمان، على أن حياة الإنسان وصحته من أجل الأمور التي حرص عليها الدين وحفظتها الشريعة بما سنته من أحكام وتشريعات تصون حياة الإنسان. قال تعالى: ﴿ **وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلاَ يُسْرِف فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا** ﴾[4].

وقال المفسرون في تفسير هذه الآية: لا يسرف في القتل أي لا يتجاوز الحد المشروع

---

(1) رواه مسلم.

(2) رواه مسلم.

(3) متفق عليه.

(4) سورة الإسراء: الآية 33.

فيه، فلا يقتل غير قاتله، ولا يمثل بالقاتل كعادة أهل الجاهلية، ولا تقتل جماعة بسبب مقتل واحد.

وهذا الموقف العادل من الشريعة الإسلامية إن دلَّ على شيء؛ فإنما يدل على مدى تكريم الإسلام للإنسان وتقديره لدوره في إعمار الأرض. ثم إن في قتل الحامل قتلاً لولدها، فيكون إسرافًا في القتل، وقتلاً لغير الجاني وهو محرم. قال تعالى: ﴿وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [1].

وكما ذكرنا سابقًا، فإن الإسراف يسبب التلوث، والتلوث يؤدي إلى هلاك الإنسان وموته. ولذلك كانت القاعدة الفقهية التي تنص على أن: "ما أدى إلى الحرام فهو حرام". وقد ثبت بما لا يدع مجالاً للشك أن التلوث يؤدي إلى قتل الإنسان، وهو حرام. وهكذا، فإن التلوث يعدّ حرامًا، فهو من المحرمات المنهي عنها.

كذلك، هناك قاعدة فقهية مهمة تقول: "درء المفاسد مقدم على جلب المصالح"، فمنع حدوث الفساد مقدم على معالجته ومحاولة إصلاحه. وقياسًا على ذلك، فإن منع التلوث – بكافة صوره وأشكاله – قبل حدوثه أولى وأجدر من معالجته بعد حدوثه.

ومن المؤكد أن ذلك يتفق مع ما قاله الحكماء عن أجدادنا الأقدمين: "الوقاية خير من العلاج". فهي عبارة تدل على مدى إدراكهم لأهمية الوقاية في تجنب الأمراض والعلل والمحافظة على نظافة البيئة وسلامتها.

وتولي المجتمعات الحديثة "الطب الوقائي" اهتمامًا كبيرًا، وتنفق عليه الكثير من الأموال تجنبًا لإصابة مواطنيها بالأمراض، وحتى يظل أفراد هذه المجتمعات أقوياء أصحاء قادرين على العمل والإنتاج والدفاع عن الوطن.

وقد أولى الإسلام – منذ أكثر من 14 قرنًا – الجوانب الوقائية الأهمية الكبرى، وأرسى دعائم الطب الوقائي، في الوقت الذي لم يهمل فيه النواحي العلاجية.

* * * *

(1) سورة الأنعام: الآية 164.